الإسلام والغرب
من إيديولوجيا الصدام إلى جدلية النزاع

محمد مزيان
أستاذ التعليم العالي مؤهل
تخصص تاريخ معاصر – جامعة ابن طفيل
القنيطرة – المملكة المغربية

بيانات الكتاب

عنوان الكتاب الأصلي: (Islamicités)
المؤلفة: جوسلين داخلية
المترجم: خالد بن الصغير

مكان النشر: الدار البيضاء
الناشر: منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود
تاريخ النشر: ٢٠١٩ – عدد الصفحات: ٣٣٠ صفحة

كلمات مفتاحية:
الإسلام؛ الغرب؛ التعايش؛ الاندماج؛ النزاع؛ التماثل التاريخي

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2020.168359

مُقدِّمَةُ

بداية أشير إلى أن كتاب **الإسلام والغرب: من إيديولوجيا الصدام إلى جدلية النزاع**، تتقاطع فيه تخصصات متعددة، رغم انتماء صاحبته لحقل التاريخ فهي مؤرخة ومديرة دراسات بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية (EHESS) (باريس). الكاتبة متخصصة في التاريخ المغاربي والمتوسطي، وهي أيضًا عضو في اللجنة العلمية لمجلتي "Annales" و"Hespéris-Tamuda". تغطّي أعمالها مجالات متعددة من تاريخ العالم الإسلامي والمتوسّطي، من العصور الوسطى حتّى زمننا الراهن. يتجلى ذلك في إصداراتها المتنوعة التي زاوجت بين الدراسة البحثية الوثائقية وبين البحث الميداني، كما شاركت وأشرفت على إنجاز عدد من الكتب الجماعية.

والواقع، أن ترجمة هذا العمل منحه حياة جديدة وسلط الضوء على أفكاره ومواقفه وقربه من عموم القراء. خاصة وأن الموضوع يستمد راهنيته وتجدده مما يعيشه الإسلام من تنازع وصراع على عدة أصعدة فتزايد الرغبة في فهم رهانات الإسلام في فرنسا المعاصرة ومن تم في الغرب. كان أحد الدوافع الأساسية لإنجاز هذا العمل. يسلط العمل، الذي بين أيدينا، الضوء على النقاش الدائر حول الصورة العامة للإسلام كديانة سماوية وكثقافة. فكان المدخل الثقافي وسيلة لمحاولة حلحلة الوضع العلائقي للإسلام وإبراز صورته في الذهنية الأوروبية عامة والفرنسية على وجه التحديد. تنضبط هذه القراءة إلى تقسيم منهجي يجمع بين تفكيك بنية الكتاب ومضامينه، ومناقشة القضايا المنهجية والمعرفية المطروحة، على الرغم من أن قضاياه متعددة متشعبة تحتاج إلى عُدة معرفية ومنهجية لتناولها.

١-البنية والمضامين

جاء العمل في طبعة أنيقة من الحجم المتوسط عدد صفحاته ٣٣٠ صفحة مقسم إلى ستة فصول مسبوقة بمقدمة خاصة بالترجمة العربية ثم تمهيد،

ومذيل بخاتمة وسمتها الكاتبة باستنتاجات. نشير إلى أنه لا يمكن فهم أطروحة الكتاب بالاقتصار على فصل أو جزء منه فهو بناء متكامل الأركان لا يستقيم الجزء إلا بالكل ولا الكل إلا بالجزء.

بنية الكتاب مقسمة إلى ٦ فصول على الشكل التالي:

الفصل الأول: التخلي عن فكرة العصر الذهبي
الفصل الثاني: مجتمعات مترابطة
الفصل الثالث: الحديث بصوت واحد عن الانحطاط
الفصل الرابع: حقائق جوهرية
الفصل الخامس: خيبة الأمل والحنين إلى الماضي
الفصل السادس: مسألة الحجاب
استنتاجات.

خصصت الكاتبة مقدمة الترجمة العربية لإبراز دوافع تأليفها هذا العمل بقولها: "**كان منطلق تحرير هذا الكتاب وخلفيته العامة، بغاية الوضوح، هو السياق السياسي الذي جاء في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١**"؛ إذ كان همّها الأساس، كباحثة، إشباع فضول طلبتها لفهم حجم العنف والدمار وطبيعة الصورة التي تقدمها وسائل الإعلام والكتابات إلى القارئ الفرنسي عن الإسلام، لهذا سعت إلى "تحليل مضامين المنشورات الجديدة المتعلّقة بالإسلام، التي تكاثر صدورها بشكل غير مسبوق في تلك الآونة". فيما نطالع في مقدمة الكتاب التي امتدت على ٣٣ صفحة ربط اعتبار الإسلام ثقافة وافدة على المجتمع الفرنسي لدرجة اعتبرها أحد الكتاب الفرنسيين أراضي الجمهورية المفقودة كنموذج الخسارة المتعلق بالثقافة، وتلاحظ أن النقاش العام صارت أصداؤه تكتسي على نحو متزايد صبغة جغرافية ومرجعيات ترابية إقليمية غير دقيقة ويعوزها الوضوح مثل أحياء الضاحية المساكن الشعبية... فهل يمكن تحميل الإسلام كل تبعات تفعيل الشغب الذي يفترض بطريقة متسرعة أنه يكتسي طابعا طائفيا؟

كان الدافع وراء هذا التأليف هو رغبة الباحثة في تحديد شروط النقاش حول الإسلام بعد أحداث ١١ شتنبر ٢٠٠١، وما خلفته من نتائج، وتبديد سوء الفهم الناجم عن تزايد الكتابات التي تتحدث عن الإسلام. سواء من طرف متخصصين وأكاديميين وكذا من طرف صحفيين، بُغية تحميل الإسلام كل تبعات التطرف ونشاط الجماعات الإسلامية المسلحة، أو من أجل معرفة كيف يفكر المسلمون. لكن الكاتبة توضح أن أغلب هذه الكتابات سقطت في العموميات مثل (أن وهابية القرن الثامن عشر هي الحاضنة التي أفرزت تنظيم القاعدة، واعتبار ابن تيمية المؤسس الأيديولوجي للإسلام السياسي)[١] والتخمينات المختلفة بشأن خطر الإسلام على الديموقراطية والعلمانية[٢] زيادة على طفحها بالأحكام العامة والسطحية بحق الإسلام. والواقع أن صعود المد الأصولي زاد من إقبال القارئ الأوروبي على هذه الإصدارات رغم هناتها وخواؤها المعرفي، وبالمقابل نلحظ ضعفا في إنتاجات عربية أكاديمية موجهة للقارئ الغربي يمكن أن تساهم في استجلاء خصائص الإسلام كثقافة وحضارة بعيدا عن التمجيد أو التضخيم، على غرار ما فعله مثلا كل من روجي جارودي ومحمد أركون، فالأول اعتبر أن الأصولية الجزائرية مثلا هي نتيجة لعاملين أولا تجاوزت المستعمر الفرنسي خلال لفترة الاستعمارية ويتمثل العامل الثاني في الرغبة في انغلاق على الماضي بعيدا عن قضايا الدولة ما بعد استعمارية.[٣] أما أركون فاعتبر أن الإسلام وأوروبا والغرب هي مصطلحات تعرّضت إلى التوظيف الإيديولوجيّ بطريقة مُبالغ فيها. لهذا السبب، وجد أنّه لابدّ من إعادة التفكير فيها ومراجعة صورتها التاريخية أو الواقعيّة لتحلّ محلّ الصورة الأيديولوجية الطاغية، وفي سبيل ذلك يشترط أركون إعادة تفكيك هذه الصورة من جديد والنظر إليها من خلال منظور نقدي يضمن تعريتها من ألبستها الأيديولوجية السميكة وفحصها من خلال زوايا جديدة، لتقديم صورة أخرى مُخالفة للصورة السائدة عن الإسلام وأوروبا والغرب.[٤] وهو ما يتماشى مع أطروحة الكتاب الراغبة في تبديد سوء الفهم وتوضيح أسباب مقاومة البنية الفكرية الفرنسية في عمومها لهذا الدين وعن قدرة العقلية الأوروبية في تقبل وفهم الدين على الرغم من تزايد عدد الكتابات الأكاديمية التي جعلت من موضوع الإسلام قطب الرحى، غير أن أغلبها ينطلق من فهم خاطئ للإسلام. أو من نقص معرفي ومنهجي وإبستمولوجي.

والواضح، أن العلاقة بين طرفي المعادلة رغم قدمها تبقى خاضعة للمتغيرات الوطنية والدولية في المشرق وفي العالم، إذ خرجت العلاقة الأوروبية الإسلامية من منظومتها التقليدية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبدأت تتخذ لنفسها مقاييس وأقنية "جديدة" من ضمن أعراف الدولة القادرة على تدبير اختلافاتها، ثم جاءت مرحلة الاستعمار فعرفت العلاقة بين الطرفين انزياحات متواصلة في التصورات والمواقف لا تخلو من مفارقة ذات دلالة. إذ لاحت في الأفق حركات إصلاحية وثورية نادت باعتماد الخلافة في

مواجهة الإمبريالية الأوروبية واللعب على حبل الإمبراطورية العثمانية وتوظيفها ضد الهيمنة الفرنسية. مع العلم أن مسألة الخلافة لم تشكل نموذجًا موحدا ولم تتمكن التجارب الإسلامية من تطبيقه وإقامة دول مركزية. بل تم توظيف فكرة الخلافة للحصول على الشرعية أو من أجل حشد الأتباع. ومن المفارقات التي تبرزها الباحثة هو أن تجسيد الخلافة بشكل كامل لمركزية العالم الإسلامي، قد تحقق بالفعل عند اللحظات التي أعلن فيها كمال أتاتورك عن إلغائها سنة ١٩٢٤[٥].

نلامس من خلال فصول الكتاب قلقًا معرفيًا وثقافيًا وهوياتيا وأيضًا مجتمعيًا، عاشه الشباب الفرنسي من طلاب الجامعة، دفع بالباحثة إلى طرح هذا الموضوع على بساط المناقشة معهم باعتبارها مؤرخة أولاً ثم منشغلة ومنفتحة على القضايا الراهنة ثانيًا. زيادة على كونها ذات أصول مزدوجة تونسية وفرنسية. لهذا سعت إلى تفكيك إشكالية علاقة الإسلام بالغرب أو بشكل أكثر دقة تفسير صورة الإسلام والموقف منه داخل المجتمعات الأوروبية عمومًا والفرنسية على وجه التحديد، انطلاقا من خاصية الغيرية بين طرفي هذه العلاقة.

برز صعود ما يمكن أن نسميه بالقلق الهوياتي لدى المسلمين في فرنسا وعند الفرنسيين أنفسهم. فاشتد النقاش حول الهوية والتأكيد عليها والدفاع عنها، من كلا الطرفين. هذه الهوية التي تشكلت عبر تفاعل عدة مؤثرات وتشابك عدة عناصر تأسيسية، وفق تراتبية معينة منها التاريخي والأخلاقي، دون أن نغفل الهويات الجمعية التي تتشكل عبر روافد متعددة. وما زاد من تفاقم الأزمة الهوياتية تلك القناعات التي تكونت جراء العولمة، فنظرت إلى نفسها بعين الضحية المهددة، التي ستضيع كينونتها بعد حين، خاصةً وأن العالم فاجأها بأشكال من التواصلات والتشابكات، ضيقت من هيمنة الحدود التقليدية، سياسية كانت أم عقائدية. فتشكل الرُهاب من الآخر، والنظر إليه كمهدد دائم وكمصدر خطر، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار تلك المحاولات التي تصدت لها بعض المؤسسات الدولية، الثقافية والتعليمية، ثم الاقتصادية والسياسية، إعادة تعريف الانتماء، وتكوين مسطرة تصنيف تتأسس على قيم تبدو في الظاهر إنسانية حقاً، لكنها تستبطن عمليات. فتتشكل الحدود الدامية على حد تعبير صمويل هنتنغتون، وتندفع الأحداث تلقاء التجييش والتجييش المضاد، وتتنادى الثقافات لتكريس التعبئة الشاملة، والتربص ضد الجميع، بما هم أعداء حاليون أو مقبلون.[٦]

عمومًا، شكل الإسلام بالنسبة للفرنسيين شاشة عرض كبيرة لقلقهم وصراعاتهم وهواجسهم، كما كان مشجابا حُمل كل مآسي العلمانية.

٢-إشباع الهوية بعيدًا عن الهوية الدينية

فرضت الظروف السابقة الذكر على فرنسا اللجوء إلى ممثلين عن الجماعة الإسلامية ومحاورين مسلمين تقدم الكاتبة نموذج طارق رمضان الذي اكتسح الساحة الإعلامية بسرعة فائقة وسقط بشكل مذوي[٧]. من أجل توضيح مبادئ الإسلام وعلاقاته وروابطه دون التنكر للمشترك وتقديم قراءة للإسلام التاريخي الذي عرف دينامية ممتدة ومفتوحة. كما تم الرجوع إلى أدبيات التاريخ الإسلامي.

فهل تكفي القيام بقراءة شاملة لعالم الإسلام التاريخي ومراكزه المدينية وعلائق نخبه في العصور المتأخرة (بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر)؟ لاستيعاب التحولات التاريخية الكبرى والجوانب المادية والجغرافية واللغوية والإثنية بين طرفي العلاقة. تؤكد الباحثة على أن حضور الإسلام على الأراضي الفرنسية بعدة قرون خلت من الوجود الخفي غير المعلن، ومن الحضور الرهيب في كنف تغمره معالم الطمس والنسيان.[٨] ومن المفارقات التي يتم إغفالها أن المكون الإسلامي المتواري ظل في أعماق التاريخ الفرنسي والأوروبي وهو ما يفرض إعادة الاعتبار لإحياء الحركة التاريخية المتواصلة والرابطة بين المجتمعات دون توقف أو انقطاع[٩]، فهناك تماثل تاريخي بين الطرفين منذ العصور الوسطى تمظهر في عدة لحظات تم فيها نسج تاريخ تفاعلي رغم وجود بعض البقع المخفية نتيجة عدم اهتمام الأسرى أو التجار المسلمين بالتأريخ لتجاربهم بأروبا على العكس من ذلك أنتج أمثالهم من المسيحيين أدبيات غزيرة من السير الشخصية التي تناولوا فيها بإسهاب الحديث عن مغامراتهم في البلدان المغاربية[١٠]

في واقع الأمر، كتاب سجالي قائم على الحوار وتوجيه سهام النقد لعدد من الكتاب يتجلى ذلك في مناقشة الكاتبة وانتقادها لعدة نظريات أو مواقف منها نظرة المستشرق برناند لويس للإسلام خاصة عمله الموسوم "**بما الذي حدث؟**" حين اعتبر أن الصراع بين حضارة الغرب والحضارة الإسلامية صراع ممتد في الزمن، كما أن هناك كراهية شديدة ضد الغرب بكل تجلياته وأبعاده الحضارية. انتقدت أيضا مجموعة من المؤلفين المنحدرين من مجتمعات إسلامية الذين

نهجوا أسلوب **جلد الذات** وممارسة النقد الذاتي والجماعي من أجل التقرب إلى المتلقي الفرنسي وتسوق نموذجا لذلك من خلال عمل عبد الوهاب المؤدب في كتابه "**مرض الإسلام**"[١١].

يرى فوكوياما أن المسلمين لا يشكلون خطرًا داهمًا على العالم لا لأنهم أخيار مسالمون؛ بل لأن الغرب وحضارته الديموقراطية قادرة على استعابهم. فيرد عليه هنتنجتون بأنه لا ينبغي الاستخفاف بخطرنا وخطورتنا. فنحن ما نزال حضارة قائمة وعدوانية، والصراعات القادمة صراعات بين حضارات وليس بين أيديولوجيات أو أسواق اقتصادية.[١٢] كما دشن البحث عن الذات والعمل على فرضها مرحلة جديدة في تاريخ البشرية، فعصر صراع الحضارات هو بالأساس رغبة كل حضارة في إبراز قيمتها الذاتية وبلورة قيمها. كما أنه اعتبر أن الحضارة الإسلامية ستشكل في العقود المقبلة أهم تهديد للحضارة الغربية[١٣]. ويفسر إدوارد سعيد نظرة الغرب للإسلام بقوله: "ينظر الجمهور في أمريكا وأروبا اليوم للإسلام على اعتباره أنباء من نوع لا يسر على الإطلاق. ويسوق التناغم بين أجهزة الإعلام وبين الحكومة وبين خبراء الجغرافيا السياسية إلى جانب الأكاديميين من ذوي الخبرة في الإسلام... في اعتبار أن الإسلام يشكل تهديدًا للحضارة الغربية."[١٤]

لا يتعلق الأمر في هذا العمل بمساهمة الإسلام في الحضارة الأوروبية وإنما في إحياء النقاش حول الحركية الدائمة عبر حدود المتوسط حركية الرجال والأفكار والمؤثرات والممارسات، لشدة الترابطات التاريخية لقرون طويلة.

تسعى الكاتبة إلى إقامة توازن بين تاريخ الإسلام وتاريخ فرنسا عن طريق الإجابة عن سؤال مركزي في ثنايا هذا العمل هو لماذا تنظر أوروبا إلى الإسلام ككتلة وكصورة واحدة وتتجاهل تنوعه الداخلي؟ ولماذا يتم تجاهل الفرق بين الإسلام كديانة والإسلام كثقافة وفق المفهوم الأنثروبولوجي؟ لهذا سعت الكاتبة لكسر المفاهيم الثقافية الجاهزة والحد من تضخم الخطاب العلائقي حول الأنا والآخر، وإظهار كيف ولماذا تكونت معالم هذا الخطاب وما عوامل استفحاله. تشير الكاتبة إلى وجود مفارقة على مستوى الخطاب والتمثل فهناك خطاب التفوق والقوة والهيمنة وخطاب الهوية من جهة وخطاب المظلومية والضعف والتأخر من جهة ثالثة. فتفكيك العناصر المؤسسة لتاريخ الإسلام مثل عصر الإسلام الذهبي، وعصر الأندلس، والأمة يسمح للقاري بفهم لماذا لم يتمكن هذا التاريخ من الصمود في وجه المتغيرات العالمية إذ سرعان ما لاحت بوادر الأزمة والاستقطاب الثقافي وخلال العصر الحديث خاصة بعد الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) ثم احتلال الجزائر سنة ١٨٣٠.

نستخلص من ثنايا الكتاب وجود مجموعة من الثنائيات أو التقاطبات مثل شرق غرب، إسلام مسيحية، تقدم ركود/ عنصرية تعايش، ماضي حاضر، رغم أنها لم تفصح عن نيتها في توظيف المنهج المقارن، لأن الهدف كان هو رصد معالم التغير في العلاقة بين الإسلام والغرب وتوظيف صورة ونظرة الفرنسيين إلى الإسلام والمسلمين بين ظهرانيهم.

نستشف من بين صفحات العمل دعوة محفزة لخلق نقاش فكري هادئ لموضوع ساخن ومتوتر، بغية تصحيح صورة الثقافة والحضارة الإسلامية، في بعدها التاريخي، خاصة للنخب المثقفة الفرنسية المتوجسة من "صدمة الإسلام" والتي أقامت الحداد على "الأراضي المفقودة للجمهورية". توضح المؤلفة أهمية تحديث البناء التاريخي للإسلام لإبراز تنوعه الداخلي، واستحضار الحقائق الاجتماعية التي ينتجها. لكن هناك منطق أخلاقي يحكم الأشياء.

أما على مستوى التحليل فقد استندت الكاتبة إلى البنية لتفسير الحدث إذ اعتمدت على التاريخ الطويل المدى لتفسير حضور الإسلام في المجال المتوسطي منذ الفتح الإسلامي وكيف أثر على ثقافة شعوب عديدة حيث سجل حضور فعلي وقوي للإسلام في الأندلس اعتبره البعض نموذجا فترة للتعايش وللحوار لكن لا يجب الاعتماد كثيرا على مثل هذه الأفكار، بيد أنها تتفق مع مارشال هودجسون حين يشير أن المجتمع الإسلامي وثقافته أوجدا وضعا متسما بالإبداع والنمو الدائمين، وإن كانت بعض الفترات قد شهدت إبداعا أهم مما كان لدى البعض الآخر، وذلك حتى وقت متقدم من الأزمنة الحديثة. هناك تشابك الحضارتين إذ نجد مسلمون في أوربا كما أن هناك مسيحيون في بلاد الإسلام.

تنوع الحساسيات وتنوع الأشكال الثقافية هناك تسييس لهذه الأشكال، تستعرض الكاتبة مجموعة من المفاهيم التي تحتاج إلى عدة منهجية ومعرفية لتفكيك حمولتها والإلمام بسياقاتها المختلفة، من قبيل "الانحطاط" و"التدهور" و "الإصلاح" و"الادماج" و"التكامل" وهي مفاهيم ذات بعد بنيوي في الثقافة الإسلامية وفي أدبياتها التقليدية، كما أنها حاضرة في الثقافة المسيحية وفي الواقع الغربي. ويتخلف تطبيقها بين المجموعات البشرية والتنظيمات السياسية.

طرحت الباحثة مسألة انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربي بتعقيداتها الجيوسياسية والهوياتية لكنها لم تُبرز بشكل كاف انهيار جدار برلين وانضمام دول أوروبا الشرقية التي شكلت دليلا على التكامل الأوروبي في حين شكل الإسلام حاجزا أمام هذا التكامل.

هناك جرأة في الطرح فيما يتعلق بالحجج التي أثيرت حول مسألة العصر الذهبي للإسلام، فإن الفصل الثالث يؤكد على ضرورة الانفصال عن الأنماط التوضيحية التقليدية، على الرغم من تحول مسألة التأخر، في القرن التاسع عشر، إلى موضوع شائع في الدراسات وتحليل سياسات الدول. إذ انكبت الأبحاث العربية على البحث في أسباب التخلف والتراجع فبرزت مواقف مختلفة من الحداثة والتحديث والتنوير. كما طرحت مسألة الحجاب وكيف تحول من دلالاته الثقافية التقليدية باعتباره نتاجا لتطور تاريخي وديناميكية مجتمعية وثقافية، إلى مطية سياسية منذ نهاية القرن التاسع عشر إبان الاصطدام بالاستعمار وانطلاق بوادر اليقظة الفكرية للعالم الإسلامي (ظهور تيارين سلفي وعلماني)[١٥] ، واستمر الجدال إلى يومنا هذا، مما أفضى إلى إحداث صدمة، كما تسبب بطريقة تكون متوازية في إثارة حركتين تنشد إحداهما التقليد، بينما تتعامل الأخرى بالرفض.[١٦]

- رد فعل تنظيمات متشددة على ضد الهيمنة الغربية أعطت الانطباع أن الإسلام حاضن للإرهاب.
- انهيار الاتحاد السوفياتي نهاية الخطر الشيوعي نظرية صراع الحضارات.
- ظهور مشاكل جديدة مثل المشاكل البيئية والاحتباس الحراري.

وبالتالي فإن السياق الحالي يحتم على "أصوات الشتات" "الدياسبورا"، أكثر من أي وقت مضى، شرح مكونات الدين الإسلامي وثقافته والتغلب على المطبات والاغراءات. زيادة على خلق حوار عابر للثقافات والاختلافات الماهوية وتجاوز القوالب النمطية المتحيزة المدفوعة بالايديولوجيا. ومحو الواقع الذي مفاده أن "الحدود" بين الثقافات هي تراكيب انسانية تنبع أصول معالمها من تباينات مختلفة. والتأكيد على أن هناك هوية جمعية تدبر الهويات المختلفة دون التأكيد المفرط على هوية واحدة وكبت الهويات الأخرى أو محو كل الهويات بدعوى العولمة والإنسانية.

إجمالا نجد أن الباحثة جوسلين داخلية قد تفاعلت مع النقاش الدائر حول الهوية الفرنسية وحول حضور المسلمين والإسلام داخل المجتمع الفرنسي وهو حضور ممتد في الزمن لا يمكن تجاوزه. مما يوضح انخراط الباحث الاكاديمي في قضايا وإشكالات عصره وفق منظور معرفي محدد، لهذا فقد حان الوقت للنضال من أجل بناء نظرة جديدة للإسلام في فرنسا العلمانية، فهناك أصوات متعددة داخل المجتمع الفرنسي، (يمين متطرف، يسار وسط مهاجرون مغاربيون أروبيون...) تسعى للتعبير عن ذواتها بعيدا عن التنميط والتضليل والمفاهيم المغلوطة، فتوظيف مفهوم إسلام معتدل يشير تلقائيا إلى وجود آخر متطرف وهناك محاولات للبحث عن طريق ثالث يجمع بين إقرار الديموقراطية على النمط الغربي وبين خيارات التطرف الإسلامي وهي فكرة تحتاج إلى مزيد من المناقشة والتأصيل النظري لها لتنسجم مع الواقع الفرنسي الذي كان منطلق هذا البحث.

خلاصة

تأسيسًا على ما سبق يمكن أن نخلص إلى عدة خلاصات:

نرى أن الباحثة تحمل قلق مفكري ما بعد الحداثة وإقرارها بفشل دولة الحداثة في تدبير الاختلاف والتنوع ومن تم تلمس ضعف البعد القيمي والأخلاقي.

إهمال سبب صعود التيارات الإسلامية المتشددة وتنوعها واختلاف مساراتها إلى درجة كبيرة من التعقيد والهلامية. وبالتالي لا يمكن النظر إلى الإسلام السياسي على أنه إسلام واحد بل هو متعدد، يصعب الإمساك بتلابيبه.

هناك قلق هواياتي في المجتمعات المعاصرة أدى إلى في كثير من الأحيان إلى الانغلاق على الذات بغية تحصينها، أو الرجوع إلى الدين لكونه يمنح للناس أجوبة عن حاجاتهم إلى المثالية أو يهدئ من نفوسهم القلقة المتطلعة إلى اللانهائي (دوركهايم) كما شكل الرجوع إلى المقدس شكلا من أشكال المقاومة ورد الفعل ضد الوصاية أو الرقابة الممارسة من طرف الآخر.

الحاجة ماسة اليوم إلى تعزيز العلوم الاجتماعية والإنسانية وأنسنة المعرفة من أجل خلق فكر نقدي خلاق بعيدا عن الأسطرة وتحطيم الأوهام، والنزوع كذلك نحو تدبير الاختلاف وقبول الآخر ليس فقط باعتباره ذاتا فاعلة بل أيضا ذاتا قادرة على الفعل.

خاصة وأننا نواجه نوع من الاتّساق الثقافي المختلف الروابط أي بين الثقافة المحلّية والثقافة العالمة العابرة للقوميّات. بحيث لم تتمكن فرنسا من طرد المسلمين ولا من دمجهم بشكل كلي داخل منظومتها وضمن سياساتها العمومية، كما فشلت في الحد من عدد المجندين (فرنسيو المولد والنشأة) من الانخراط في صفوف ما يعرف بـ "داعش" وبالمقابل نجد فرنسيون من أصول مغاربية ضمن الهيئات السياسية اليمينية المتطرفة.

ضرورة فتح آفاق جديدة للفهم والتأمل والمراجعة وبلوة رؤية مغايرة لهذا الواقع "المأزوم" مستحضرين الوعي التاريخي، ومتجاوزين المركزية الأروبية؟ مع وجوب استيعاب التحولات القيمية والمعرفية التي بات يعرفها العالم، وتطبيق فكرة فضاء مشترك للعيش بشكل سليم.

المسألة ملقاة على عاتق الطرفين لتجاوز حالة الجهل المزدوج الذي يعيشانه.

كلها أمور في اعتقادي يمكن أن تؤدي إلى الخروج من هذا النفق وتجاوز حالة القلق والانعزال إلى حالة الإقرار بالأمر الممكن.

الهَوامِشُ:

(١) جوسلين داخلية، **الإسلام والغرب: من إيديولوجيا الصدام إلى جدلية النزاع**، ترجمة خالد بن الصغير، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود (الدار البيضاء ٢٠١٩) ص ٥٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٢.

(٣) روجي جارودي، **الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها**، (دار عام ألفين باريس ٢٠٠٠) ص ٦٠.

(٤) عبد المنعم شيحة، **قراءة في كتاب "الإسلام أوروبا الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة"** للمفكّر محمد أركون" على الرابط https://www.mominoun.com/articles/ تاريخ الاطلاع ٢١-١١-٢٠١٩

(٥) جوسلين داخلية، م س ص ٣٠٩.

(٦) الحاج دواق، "**الدين والهوية بين ضيق الانتماء وسعة الإبداع**"، (إشراف وتقديم) على الرابط https://mominoun.com/pdf1/2016-02/diine.pdf تاريخ الاطلاع ١٢-١١-٢٠١٩

(٧) جوسلين داخلية، م س، ص ٦٣.

(٨) نفسه، ص٧٠.

(٩) نفسه، ص٧١.

(١٠) نفسه، ص ١٣٧.

(١١) جوسلين داخلية، م س، ٦٤.

(١٢) التحرير، "لماذا هذا العدد في التاريخ الشامل"، **مجلة الاجتهاد**، عدد ٢٦-٢٧ السنة السابعة (بيروت ١٩٩٥) ص٨.

(١٣) نشر صامويل هنتنجتون نظريته حول صدام الحضارة بداية الأمر في مقال نشرته مجلة Foreign Affaires في صيف ١٩٩٣ وهو المقال الذي أثار نقاشًا أكاديميًا واسعًا وسجالاً حادًا بين مؤيد ومعارض ومنتقد للأفكار التي تضمنتها المقال، مما دفع هنتنجتون إلى إصدار كتاب يتطرق فيه بالتفصيل إلى جزئيات نظريته ليبرهن على صحة أفكاره.

(١٤) على الرابط https://annabaa.org/nbanews/62/246.htm تاريخ الاطلاع، ١٢-١١-٢٠١٩

(١٥) جوسلين داخلية، م س، ص٢٦٢.

(١٦) نفسه، ص٢٦٥.